

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي Hiero-histoire in Ismaili Gnosis

د. نورالدين هالي (*)

جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، (الجزائر)، hali.noureddine@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2023/06/06 تاريخ القبول: 2024/01/17 تاريخ النشر: 2024/01/25

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز مفهوم التاريخ الباطني في العقيدة الإسماعيلية، هذا التاريخ المقدس يمثل المعنى الروحي للأحداث الظاهرة وللنصوص الدينية. إن التأويل الباطني للتاريخ يعود إلى الكتاب المقدس، ويقوم التصور الإسماعيلي للإلهية انطلاقاً من مبدأ الوجود والخلق ثم مسألة الإمامة والنبوة، لتنتهي إلى المعاد والقيامة، وتشكل هذه العناصر رؤية متكاملة للإلهية، وهي رؤية تكشف عما هو محبوب من أحداث.

الملخص

خلاصة النتائج التي توصلنا إليها: هي أن الأحداث الأرضية في الفكر الإسماعيلي تشكل انعكاساً وإعادة تمثيل للأحداث التي جرت في المأملاتكي، وأن "التاريخ المقدس"، يكون على الدوام، تاريخ موازٍ لجميع المجتمعات يظل دائماً بجوارنا وأن ما يعطي للأحداث التاريخية الظاهرة حقيقتها هو مشاركتها للتاريخ المقدس، وفهم هذا التاريخ يكون فهمًا عرفانياً وروحانياً.

الكلمات الدالة: الإسماعيلية؛ التاريخ؛ كشف؛ الباطني؛ العرفان.

Abstrac:

This paper presents the concept of esoteric history in the Ismaili doctrine, which is a Hiero-histoire that gives a spiritual dimension to apparent events and religious texts. The esoteric Hermeneutics (unveiling) of history is based on the Quran. The Ismaili perception of divinity is based on the principle of existence and creation, then the Imamate and Prophecy, to end at the appointment and the resurrection (ma'ād), and these elements constitute an integrated vision of divinity; it is a vision that reveals hidden events.

We concluded that earthly events are a reflection, a re-personification of the events that took place in the angelic community. The "Hiero-histoire" is the history of a world that is always parallel to all societies, and always remains next to us. What gives the apparent historical events their reality is their participation in the Hiero-histoire and the understanding of this history is a Gnostic and spiritual understanding.

(*) المؤلف المرسل.

Keywords: Ismaili; histoire; unveiling; esoteric; Gnostic.

1. مقدمة:

كثيرا ما تطلعتنا المدارس الغربية المعاصرة على مناهج متعددة تعنى بالدراسات التاريخية، وفي السياق ذاته تنبه بعض المستشرقين إلى ما وصلت إليه المصادر الإسماعيلية، من تفسير للظاهرة التاريخية، وكان حريئاً بالعرب والمسلمين تناولها قبل غيرهم، لكن الاختلافات المذهبية والعداء التاريخي، حال دون الوقوف عند ما وصل إليه المفكرون الإسماعيليون بعلومهم العرفانية، التي جعلت التاريخ جزء لا يتجزأ من معتقداتهم، فعندما ننظر إلى الأحداث الطبيعية في مسارها التاريخي الظاهر، كإشارات ورموز تحيل إلى أحداث باطنية أصيلة، سنجد أنفسنا نسبح في فضاء التأويلات الإسماعيلية، لتقودنا إلى تاريخ آخر نسجت أحداثه قبل بداية تاريخ البشرية الظاهر لكنه لا ينفصل عنه، لأنه رسم كل الأحداث اللاحقة، إن هذا التأويل الباطني للتاريخ يعود إلى الكتاب المقدس الذي يتميز بقطبين، ظاهر وباطن، شريعة وحقيقة، رمز ومرموز، ووفق هذه الثنائيات يقوم التصور الإسماعيلي للإلهوية انطلاقاً من مبدأ الوجود والخلق ثم مسألة الإمامة والنبوة لتنتهي إلى المعاد والقيامة، وتشكل هذه العناصر رؤية متكاملة للإلهوية، وهي رؤية تكشف عما هو محجوب من أحداث، لكن التساؤل المطروح كيف يفسر العرفان الإسماعيلي العلاقة بين مسار الأحداث الطبيعية في التاريخ البشري والأحداث السماوية التي تعطي للتاريخ قدسيته؟

للإجابة عن التساؤل انطلقنا من فرضية قائمة على بعض النصوص الدينية كآية الميثاق واللوح المحفوظ وبعض آراء مفكري الإسماعيلية والمتصوفة التي قدمت فهما عقلياً للنص الديني مفاده أن لكل مثلٍ مُمثِّل، وأن هذه الحياة بمثابة مشاهد رمزية لحياة حقيقية في العالم الروحاني، وقد اعتمدنا على المنهج التاريخي في عرضنا الموجز لتسلسل أئمة الإسماعيلية وأهم تفرعاتهم، كما أدرجنا مفهومي التأويل والعرفان عند الإسماعيلية، وأبرزنا أهم التأثيرات الفلسفية في أفكارهم. ووفق منهج تحليلي، حاولنا تحليل مفهوم التاريخ المقدس عند الإسماعيلية بناء على

رؤية المستشرق الفرنسي هنري كوربان، ودعمناه بآراء بعض المفكرين الإسماعيليين، مبرزين قداسة الحدث التاريخي، في عقدتهم حول المبدأ والمعاد، وما يمثله الزمن الدوري في العرفان الإسماعيلي.

2. التأويل والعرفان في الفكر الإسماعيلي:

يعد التأويل العرفاني ركيزة أساسية في الفكر الإسماعيلي، لأن كل ظاهر لا يمكن فهمه ومعرفة حقيقته دون معرفة روحانية باطنية، لذا سنحاول التطرق إلى مفهومي التأويل والعرفان عندهم، لكن قبل هذا، سنعرض باختصار شجرة تسلسل أئمة الإسماعيلية وتفرعاتها، وأهم الأفكار الفلسفية التي أثرت فيهم.

1.2. موجز تسلسل الإمامة الإسماعيلية:

إن الحديث عن نشأة الإسماعيلية كفرقة دينية شيعية لا يحمل أي لبس أو غموض، لكن الاختلاف في ترتيب الأئمة، فالإمام جعفر الصادق يرتب سادسا عند الإثنا عشرية بينما خامسا لدى الإسماعيلية، ومرد هذا الاختلاف أن إمامة الحسن بن علي عليه السلام إمامة شرعية عند الإثنا عشرية والزيدية، وهو الإمام الثاني في سلسلة الأئمة عندهم، أما الإسماعيلية فيجعلونه إماما مستودعا، أي وكيل قائم بالنيابة، والإمام المستودع اصطلاح يطلق على الإمام الذي يستلم شؤون الإمامة في ظروف استثنائية، تقتضي استتار الإمام الأصلي، وبزوال أسباب الاستتار، تعود الإمامة إلى صاحبها، كما أن المستودع لا يمكنه توريث الإمامة إلى ولده، وغالبا ما يكون من الأسرة الأممية، مثال ذلك الإمام موسى الكاظم، يعد عندهم إماما مستودعا قام بالإمامة سترأ على ابن أخيه محمد بن إسماعيل.¹

تفرعت الإسماعيلية عن الإمام السادس للشيعية الإثنا عشرية، والخامس في شجرة الإمامة الإسماعيلية، وهو الإمام جعفر بن محمد (الصادق)، فبعد موته انقسم الشيعة، منهم من قال بإمامة إسماعيل، الابن الأكبر، وهم الإسماعيليون، ومنهم من قال بإمامة موسى الكاظم على اعتبار أن شقيقه الأكبر إسماعيل مات قبل وفاة والده، لكن الإسماعيليين اعتقدوا أن إسماعيل لم يموت في حياة والده جعفر، إنما أستتر في مكان ما (158 هـ/ 775م) وأن محمد بن إسماعيل،

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

هو الأحق بالإمامة من عمه موسى الكاظم، ومن هنا ظهرت عقيدة الستر عند الإسماعيلية، لذا لا تتوقف سلسلة الأئمة عندهم، إنما تارة يكون الإمام ظاهرا، وتارة أخرى يكون مستترا، بحسب الظروف التي تسمح له بالظهور أو الاستتار.²

شهد تاريخ الإمامة عند الإسماعيلية فترة غامضة بعد موت الإمام محمد بن إسماعيل عرفت بفترة الأئمة الثلاثة المستورين، امتدت إلى زمن قيام الدولة الفاطمية على يد عبيد الله المهدي (260/59 هـ / 873م - 322 هـ / 934م)، حيث تحققت آمال الإسماعيلية بقيام مملكة الله،³ وبعد وفاة الخليفة الثامن المستنصر بالله (ت 487 هـ / 1094م) انقسمت الإسماعيلية إلى شقين، بسبب الخلاف حول أحقية الابن الثاني المستعلي بالله بالخلافة بدلا من شقيقه الأكبر نزار، وهي المأساة التي شقت الإسماعيلية إلى فرعين، الفرع الغربي الذي استمر في التقليد الفاطمي، والفرع الشرقي الذي جعل من ألموت عاصمة له، حيث أخذ الفكر الإسماعيلي مسارا جديدا.

تناولت الإسماعيلية الغربية (الفاطمية) العقائد والأفكار الفلسفية من خلال دعاة من أمثال حميد الدين الكرمانى (408هـ/1094م) صاحب كتاب راحة العقل. وأمتد النشاط الفكري الإسماعيلي إلى اليمن، فبرز دعاة يمنيون كانوا مرجعا في العقيدة الإسماعيلية وفلسفتها، واستنادا إلى ما كتبه دعاؤها، في تلك الفترة، ركزت كتابتهم على أربعة محاور أساسية وهي: جدلية التوحيد، الفاجعة السماوية ومولد الزمان، والزمان الدوري (التاريخ المقدس) وعلم الإمامة وعلم المعاد، وإنما إذا أمعنا النظر في هذه العناصر، سنرى أن تاريخ الأحداث الظاهر يعود إلى باطن التاريخ حسب ما يعرضه التأويل الإسماعيلي، ذلك التاريخ الذي يحدد العلاقة بين واجب التوحيد ونظرية الخلق حقيقة المعاد والقيامة.

موازاة مع الإسماعيلية الغربية ظهر الشق الثاني المتفرع عن الفاطميين وهم النزاريون، ظهر هذا الفرع من الطائفة، كما رأينا، إثر موت المستنصر بالله برفضه إمامة المستعلي وبيعة الابن الأكبر الإمام نزار الذي زجّ به قائد الجند بدر الجمالي في السجن، واستمر أصحاب المستعلي في الدعوة الفاطمية، فسموا بالمستعليية، أما من بايعوا الإمام نزار ففروا إلى إيران، وتحصنوا في

قلعة ألموت،⁴ وكان زعيمهم الإمام حسن بن الصباح،⁵ الذي كان أساسا لنجاح الحركة الإسماعيلية الشرقية. لم يكن توجه للإسماعيلية الشرقية فكريا موازيا للإسماعيلية الغربية، ويمكن القول أنها طورت أفكارها السابقة، نتيجة عوامل فكرية وتاريخية متعددة،⁶ لكن تكاد كل المصادر غير الإسماعيلية، تجمع على ارتباط حسن الصباح وإسماعيلية ألموت عموما، بعهد مظلم دموي ومرعب، انعكس على سمعة هذا الفرع من الإسماعيلية، الذي امتد مجال نشاطه إلى بلاد الشام، حتى اشتهروا بالحشاشين،⁷ ونظرا للتنظيم الثوري الذي كان يعتمده هذا الفرع من خلال مجموعة من المقاتلين، سمو أنفسهم بالفدائيين.

يعد إعلان القيامة يوم الجمعة 17 رمضان 559هـ الموافق لـ 8 أوت 1164م من قبل الإمام حسن الصباح، الحدث المفصلي الذي شكل نقطة تحول كبير في الفكر الإسماعيلي النزاري، ويبدو أن هذا الإعلان كان بمثابة رد فعل عنيف ضد كل شريعة، وتكريسا للنزعة الباطنية المطلقة، وبذلك ينهار التوازن الذي حافظت عليه الإسماعيلية الفاطمية، ولم يعد الظاهر دعامة للباطن ورمزا يعبر عن الرموز إليه.⁸ ويؤكد المستشرق هنري كوربان هذا الاتجاه بقوله: «وعليه أن ما يميز هذه الإسماعيلية المعدلة، أنها لا تتردد في ترجيح الكفة لصالح الحقيقة، أي الحقيقة العرفانية على حساب الشريعة، وبالتالي الإقرار بحضور الإمام مقام الرسول، وكان ذلك معنى المناداة بالقيامة الكبرى، "قيامه القيامة" في قلعت ألموت.»⁹ وامتد الفكر الإسماعيلي الجديد إلى بلاد الشام منتصف القرن السادس للهجري بفضل قوة شخصية رئيسهم راشد الدين سنان (528هـ/1140 - 588هـ/1192م)، وبفضل هذا الامتداد حفظت لنا إسماعيلية الشام الأدب الأملوتي بعد أن أحرق المغول قلعت ألموت وما حوت من كتب، كما كان تدمير القلعة دافعا لارتداء خرقة التصوف.

تشنت شمل الإسماعيليين في إيران بعد هزيمتهم أمام المغول، وبعد سقوط كل قلاعهم في بلاد الشام سنة 672هـ، خضعوا للسلطان الظاهر بيبرس، لكنهم ظلوا محافظين على عقيدتهم.¹⁰ ودخلت إمامتهم دور الستر. إثر هذه الأحداث هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى الهند، حيث اشتغلوا في التجارة، وبقوا على هذه الحال مئات السنين حتى القرن التاسع عشر

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

الميلادي، أين ظهر في إيران، حسن علي شاه الذي جمع حوله مجموعات من الإسماعيليين وغيرهم، فهاجموا القوافل والقرى، وصارت لهم قوة دفعت الانجليز إلى دعمه للثورة ضد شاه إيران، لكن ثورته فشلت، ففر إلى الهند بمساعدة الإنجليز أيضا، أقام حسن علي هناك، وأعلن أنه إمام الطائفة الإسماعيلية، فتجمع حوله الأتباع، وبهذا أصبح إمام الطائفة ظاهرا، وسمى نفسه الآغا خان الأول، والإمام السادس والأربعون في تسلسل الأئمة الإسماعيلية النزارية، وبعد وفاته سنة 1881م، خلفه ابنه آغا علي شاه، ثم تولى الإمامة الإسماعيلية ابنه محمد الحسيني عام 1885م بعد وفاته والده علي شاه.¹¹ دامت خلافة محمد شاه الحسيني حتى وفاته عام 1957م حيث خلفه ابنه كريم الحسيني، ليكون الإمام الآغا خان التاسع والأربعون، وهو إمام الطائف حتى اليوم، بعد ست وستين عام من إمامة الطائفة.

تعد الإمامة محور العقيدة الإسماعيلية، فولاية الإمام حسب المفهوم الإسماعيلي، ركن أساسي من أركان الدين، بل هي الإيمان بالحقيقة، والإمامة هي المحور الذي تدور عليه دائرة الفرائض التكليفية، فلا يصح وجودها إلا بوجوده، وهي من أصول العقيدة الإسماعيلية لذا وجب وجود الإمام المعصوم المنصوص عليه من نسل علي بن أبي طالب عليه السلام، والنص على الإمام، يجب أن يكون من الإمام الذي سبقه، بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب.¹²

بعد هذه اللوحة الموجزة عن تسلسل أئمة الإسماعيلية، نود الإشارة إلى أبرز دعواتها الذين شكلت مؤلفاتهم أساسا للفكر الإسماعيلي وعقيدته نذكر: القاضي النعمان المتوفى (363هـ/974م)، وأبا حاتم الرازي المتوفى (322هـ/923م)، وأبا يعقوب السيجستاني (القرن الرابع هجري) وأحمد بن إبراهيم النيسابوري (القرن الخامس هجري) والداعية الفاطمي أحمد حميد الدين الكرمانلي المتوفى (408هـ / 1094م)، وكذلك مؤيد الشيرازي المتوفى (470هـ / 1077) وناصر خسرو المتوفى (بين 465 هـ / 1072 و 470هـ / 1077م)، أما من المفكرين الإسماعيليين المعاصرين، نذكر: عارف تامر (1921 - 1998م)، ومصطفى غالب (1923-1981م) اللذين عملا على إعادة إحياء الفكر الإسماعيلي والتأريخ له.

2.2 التاويل العرفاني عند الإسماعيلية:

عمل المفكر الإسماعيلي عارف تامر على إعادة بعث التراث الإسماعيلي من خلال تحقيق العديد من المخطوطات المغمورة، وقد أشاد بالجهود التي قام بها المستشرق الفرنسي هنري كوربان Henry Corbin (1903م - 1978م) في أعماله حول الإسماعيلية يقول: «وأما هنري كوربان فقد توجه إلى الفلسفة الإسماعيلية، وتميزت كتبه بالموضوعية والفهم العميق للنصوص ومعاني التأويل». ¹³ وبناء على قبول الإسماعيليين للدراسات التي تزخر بها مؤلفات كوربان حول الفكر الإسماعيلي، فإننا سنعتمد في هذا المقال على بعض أفكاره، وشروحه والمصطلحات الواردة في أعماله حول الإسماعيلية.

تعد ظاهرة التأويل السمة البارزة في الفكر الإسماعيلي، وهي الظاهرة التي أعطته خصوصية وبعدا تأمليا عميقا، وقد قدم هنري كوربان مفهومه للتأويلات، فيعتبر التأويل تفسيرا يسمو على كل المعطيات الواقعية للعودة بها إلى مصادرها، فتقود إلى ولادة روحانية تنتهي بالعرفان. وهكذا نستشف المبادئ التي انفردت وتميزت بها إسماعيلية "الموت" وهي العلاقة بين الشريعة والحقيقة، بين النبوة والإمامة. ¹⁴ ولممارسة فعل التأويل، والفهم يتوجب معرفة شروطه وحيزه المكاني والزمني، وهذه العوامل تمثل ثلاثة جوانب لأدراك المعنى الحقيقي للكتاب المتمثلة في: فعل الفهم وظاهرة المعنى والكشف عن حقيقة ذلك المعنى.

إذا اعتبرنا التأويل هو انتقال من الظاهر إلى الباطن، أو كشف الباطن المستتر تحت الظاهر، فإن التأويل بهذا المفهوم يتوافق مع مفهوم كوربان للتأويلات الإسماعيلية والمفاهيم التي قدمها مؤسسوها، من أمثال حميد الدين الكرمانى، الذي يقول في كتابه أساس التأويل: «انه لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط به العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه، قال الله عز وجل من قائل: ﴿وَمَنْ كَلَّ شَيْءٍ حَلَقْنَا رُؤُوسَهُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾» ¹⁵. ¹⁶

يحتج الكرمانى بآيات القرآن على استعمال التأويل للوصول إلى الحقائق الباطنة، فيشير إلى وجود آيات كثيرة في كتابه سبحانه وتعالى فيها ذكرٌ للأمثال والباطن والتأويل، وذلك معروف في لسان العرب الذي نزل القرآن به، وخاطبهم بلسانهم فيه، وذلك من معجزات

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

وغرائب تأليفه، وإنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله، وباطنه معجزة الائمة من أهل بيته، لا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع احد أن يأتي بظاهر الكتاب غير مُجدِّ رسول الله (ﷺ) جدهم، ولا أن يأتي بباطنه غير الائمة من ذريته.¹⁷ ينتج عن المنهج التأويلي في العقيدة الإسماعيلية، حصول علم بحقائق الأسرار الباطنة، وهذا ما يعرف بالعرفان.

يحيل التأويل إلى علم العرفان، والذي يمكن تعريفه إصطلاحا على النحو الآتي: «هو التعبير عن الحقائق والمعارف التوحيدية، أي الوحدة الشخصية للوجود، التي يصل إليها العارف عن طريق الشهود في آخر مراحلها والتي تحصل بسبب الرياضة والعشق».¹⁸ ومصطلح العرفان يقابله مصطلح Gnosis في اللغة الإنجليزية، وهو العلم بأسرار الحقائق الدينية، وهو أرقى من العلم الذي يحصل لعامة المؤمنين، أو لأهل الظاهر من رجال الدين.¹⁹ وفي الغرب تم استخدام كلمة الغنوصية كمذهب Gnosticism على وجه الخصوص للإشارة إلى نوع خاص من الغنوصية Gnosis، التي ازدهرت في القرنين الثاني والثالث، لكنها واجهت اعتراض المسيحيين الأوائل باعتبارها هرطقة، ولطالما استخدمت الكلمتان "المذهب الغنوصي" و"الغنوصية" بشكل عشوائي للإشارة إلى كل من الأنظمة الغنوصية الكبرى في القرنين الثاني والثالث. في سنة 1966م وُضعت تعريفات مقبولة بشكل عام لمصطلحي "Gnosticism الغنوصية كمذهب" و"Gnosis العرفان"، وتم إقتراح مفهومهما إصطلاحا للعرفان "Gnosis" وهو أنه بمثابة: "معرفة بالأسرار الإلهية المحفوظة للنخبة"، أي أنها نوع من المعرفة باطنية. ويمكن تلخيص خصائص الغنوصية في فكرة ومضة نورانية إلهية في الإنسان مستمدة من العالم الإلهي.²⁰

يمثل كتاب شهاب السهوردي المقتول (549هـ/1155م - 588هـ/1191م) "حكمة الإشراف" أنموذجا للتأويل الروحي الذي تلتقي فيه الحكمة المشرقية والإغريقية بالأشراق الإلهية في القرآن، والتي وردت في سورة النور، إننا إذا عدنا إلى هذا الكتاب تلفت انتباهنا الأهمية البالغة التي يوليها السهوردي إلى الحكمة الزرادشتية وفلسفة أفلاطون أو كما يسميه "أفلاطون الإلهي"، كما يؤكد الصلة بين الحكمة الفارسية القديمة وفلسفة أفلاطون،

فالسهروردي يؤكد وجود علم المثال الذي تحدث عنه أفلاطون وهو عالم الأنوار الذي يمكن مشاهدته، يقول: «ومما يدل على أن مبدع الكون نور وكذا عالم العقل ما صرح به أفلاطون وأصحابه، أن النور المحض هو عالم العقل، وحكى عن نفسه أنه يصير في بعض أحواله بحيث يخلع بدنه ويصير مجردا عن الهي ولي فيرى في ذاته النور والبهاء ويرتقي إلى العلة الإلهية المحيطة بالكل فيصير كأنه موضوع فيها معلقا بما ويرى النور العظيم في الموضوع الشاهق الإلهي.»²¹ من خلال ما ورد في رأي السهروردي، يبرز التأثير القوي للفلسفات القديمة الدخيلة على المسلمين على مسار التأويل في الفكر الإسماعيلي.

إذا كانت الفلسفة الإسلامية تأثرت بالفلسفة اليونانية، فإن الشيعة الإسماعيلية أكثر تأثرا بها، وقد أخذوا عن أفلاطون نظرية المثل التي جعلت ما في العالم الحسي ظلالاتا لمثل في العالم العلوي ، وعلى منوالها جعل الإسماعيليون ما في عالم الدين مُثُل لمثولات في العالم الروحاني.²² كما أنهم فلسفوا تعاليمهم وفلسفوا معها العقيدة الإسلامية كلها، وأدخلوا عليها كل ما وقفوا عليه من أفكار أجنبية، وخاصة الأفلاطونية المحدثة.²³

3. الحدث المقدس في "ما وراء التاريخ":

إن حضور الماضي بنفسه ما هو إلا إظهار لما هو محجوب تحت الظاهر، هذا القيام بالحضور يتمثل بفتح المستقبل وإعلان ولادته، مستقبل يخفي ما يعد ماضيا متجاوزا، ومن منظور هذا التصور الذي قدمه كوربان، إذا كان ثمة معنى واتجاه للتاريخ، فلا وجود له في تاريخية الوقائع الظاهرة، إنما هو موجود في تلك التاريخية الأصلية، وفي تلك الجذور الوجودية الأصلية الخفية والباطنية للتاريخ والتاريخي.²⁴ إن الحدث التاريخي المقدس يظهر في تأويل الحدث الظاهر، هو تأويل يكافئ مصطلح كشف المحجوب، أي إظهار المعنى الباطن تحت الظاهر وخلف الظاهرة، يتعلق الأمر بما عبّر عنه هنري كوربان بمصطلح التاريخ المقدس، -hiéro histoire الذي لا يستهدف الوقائع الخارجية للتاريخ الديني، إنما شيئا أكثر أصالة، ذلك

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

الباطن المختفي تحت الظاهر الحرفي، أي ظاهر الكتاب المقدس. إن ما يعرف بالتاريخانية ومعنى التاريخ، لا يشكل في نظر الإسماعيلية إلا مجازا لحقيقة الوقائع والأشخاص المبتايفز يقين، في ما قبل خلق عالمننا، وهذا ما يعلمنا التأويل قراءته في القرآن، فالتاريخ المقدس يعلمنا أن ثمة تسلسلات أكثر جوهرية وأكثر حقيقة من التسلسلات التاريخية الظاهرة.²⁵

إن الحقائق الجوهرية تحدث في البعد التاريخي، في مكان آخر قابل للانعكاس أو التجلي، ويمكنه دائما أن ينبثق في العالم، ويكشف عن الجانب الأخرى للأشياء، ينكشف هذا في مكان آخر عن غير المرئي الذي يخفي كل المثل المنعكسة، أي الملاك، فالفيلسوف لا يرى الملاك بل يفهم من خلاله بقدر جهده، والأئمة يسمعونه بسماعه، والأنبياء يرونه، أي كان مصدر معرفتهم: الوحي، أو الإلهام أو الفهم المنير للمعارف أو الإشراق، لكنه يظل علما ملائكيًا بشكل أساسي، ولكي تكون العلاقة الإلهية لأي عرفان قادرة على الظهور من خلالها، فإنها تحتاج إلى عالم وسيط، يضمن لها وجوديًا، الحق الكامل في القيام بذلك، هذا العالم الوسيط بين المتعقل والمعقول، يكون حيث "تجسد الأجساد روحانية وتتجسد فيها الأرواح"، أي عالم متحرر من قوانين المادة، في هذا المستوى المتوسط، تزهو القصة الفوقية لـ "أحداث في الجنة": رؤى المتصوفة والأنبياء، وفي غياب هذا العالم، لا يسقط الإنسان فقط من ما وراء التاريخ في التاريخ، ولا يفقد فقط رؤيته (الروحانية) ليصبح مجرد رجل "بصري (حسي)"، ولكنه يصبح متورطاً في عبادة الأصنام. ويظل سجين التاريخ أحادي البعد للأحداث التجريبية، ولا يهتم بعدها "الأحداث في السماء" لأنه لم يعد ينظر إليها، لكن إعادة اكتشاف نظرة ما وراء الظاهر، ونظرة إلى "الأحداث في السماء"، تعادل استعادة البعد القطبي والمشاركة في الأحداث الأولى، التي تشير إلى الأدوار النبوية كما نزل في يوم العهد، فكل وحي هو نزول، يقابله عودة (تأويل) إلى هذه الأحداث نفسها، إنها عودة إلى المصدر الذي انحدر منه هذا الوحي.²⁶ من هذا المنظور يصبح التاريخ الجدير بالبحث في مثل هذه الدراسات هو التاريخ المقدس hiero-histoire أو ما وراء التاريخ meta-histoire.

1.3 الخلق والتوحيد: البدء المقدس:

يبدأ التاريخ المقدس مع بداية الخلق الأول للوجود، لكن قبل خوض تأويل عملية الخلق، يعالج الإسماعيليون مفهوم التوحيد، في هذا الصدد نشير إلى شرح أبي يعقوب السجستاني للاسم الإلهي في رسالة تحفة المستجيبين، وهي رسالة هامة حققها عارف تامر ضمن كتاب "ثلاث رسائل إسماعيلية" في هذه الرسالة شرح المعلم السجستاني اسم الباري عز وجل، ثم الأمر، ثم العلم والكلمة والوحدة، ثم العقل والنفس، ثم الحدود الجسمية،²⁷ ويندرج الاسم الإلهي (الأعلى) (الله)، كصفة إله محدد، إله موجود، له صفات الخلق والإبداع والعلم والعدل والكرم والعظمة، ومع أنه خالق هذه الصفات، إلا أن وضعها يكون إلا من جهة مداركنا الأرضية، وليست من جهة سموه الإلهي.

على منوال مفهوم السجستاني للخلق والتوحيد، سار الداعية اليمني علي بن محمد بن الوليد (522 - 612هـ)، وهو من كبار إسماعيلية اليمن، وله مؤلفات عدة من بينها "تاج العقائد ومعادن الفوائد" وكتابه الشهير "المبدأ والمعاد" الذي تناول فيه الإبداع الأول للخالق في قوله: «اعلم أن علام الغيوب جلّ وعلا، أبدع عالم الإبداع دفعة واحدة بلا زمان ولا مكان، صورا نورانية لا يحصيها العدد، متساوية في الكمال الأول والوجود الأول الذي هو الحياة والقدرة، وكان ذلك بموجب عدله تعالى أن جعلهم سواء لا فضل لأحدهم عن الآخر، وكانوا في الكثرة على حال لا يحصى عددها، دليلا على أن العقول لا تحيط بمبلغ فضله ووجوده تعالى، فهم يسمون عالم الإبداع».²⁸

أما الرؤية الأخرى فهي رواية إسماعيلية مختلفة عن المفهوم السابق للتوحيد، يمكننا الوقوف عليها في إحدى القصائد التي عثر عليها في سورية، وهي لشاعر إسماعيلي مجهول، حققها المفكر الإسماعيلي عارف تامر وقدم لها شرحا مفصلا، تسمى هذه القصيدة بـ: "القصيدة الشافية"، وتبدأ بالقول في التوحيد، كما يظهر في الأبيات الستة الأولى الآتية:²⁹

الحميد لله القديم الأزلي	المبدع العالي محل العلل
باري البرايا الدائم الفرد الصمد	والجاعل الواحد أصلا للعدد
أبدعه بأمره المجيد	فأصبح الأول في الوجود

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

نورا بسيطا حائطا بالدار
من سائر الجهات والأمصار
سمّاه عقلا سابقا فعّالا
فجل عن إدراكه تعالى
روحا لطيفا عاقلا لذاته
سبحان من قد جل عن صفاته

يشير عارف تامر في شرحه للبيت الثالث من القصيدة، إلى الاختلاف في فهم التوحيد بين الإسماعيليين، كما يظهر امتداد الرؤية اليمينية في التوحيد إلى سوربة كما يظهر في شرح المحقق في تفسير معنى الأمر، حيث يقول:

« الأمر مشيئة الله أو الكلمة الصادرة عن المبدع، فهو ليس حدا من الحدود، ولا مثل له في عالم الأجرام أو في عالم الطبيعة أو في عالم الدين، بل هو فعل صادر عن الباري لإيجاد الموجودات كما جاء ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾، يعتقد بعض الإسماعيلية في سوريا بأن "الأمر" هو حد من الحدود العلوية وجد قبل العقل وفوقه، فهو والحالة هذه مؤيده وممهده والمنعم عليه، ويقولون بأنه ممثل الإمام ونحن نرد على هؤلاء بقولنا إن هذا الاعتقاد فاسد ويخالف الآراء الفلسفية الحقيقية والمعتقدات الإسماعيلية الصحيحة، وإنه لمن الخطأ في التفسير والنقص في التأويل، أن نخالف ما جاء في المصادر الإسماعيلية القديمة عن هذا الموضوع الذي لم يخرج عن حد القول: بأن العقل أول الموجودات ولا حد قبله، فهو صاحب الأولوية في الوجود، أي أنه أول موجود فاض عن الباري وأول مخلوق اخترعه المبدع.³⁰»

جانبا آخر يبرز الفهم الإسماعيلي للتوحيد تمثله شهادة التوحيد، في هذا الصدد يرى أبو يعقوب السجستاني في معنى الشهادة: انطلاقا من قول النبي صل الله عليه وعلى آله (لا اله إلا الله مفتاح الجنة) هو أن الجنة كلمة الله التي بها أبداع الأشياء التي هي في الجنة من وجود لا يوجد في شيء من الأشياء محض الكلمة، التي هي إبداع الشيء من عدم، ولو وجدت في شيء من الأشياء، أمكن أن يكون ذلك الشيء إبداعا من عدم، وليست توجد هذه الفضيلة

في شيء من الأشياء ليحتمل هذه الفضيلة لكلمته جل وتعالى، فهي جنة بالحقيقة، والكلمات الأربع من الشهادة - التي هي مفاتيحها - تمثل الأصول الأربعة: الأصلان والأساسان، الأصلان هما السابق والتالي والأساسان هما الناطق والأساس، ويمثلون على التوالي العقل (العقل الأول) والنفس (النفس الكلية)، والني والإمام.³¹ هكذا يتبين لنا كيف تكون عملية الخلق الإلهي بداية لمسار تاريخي مقدس، يتجلى في أحداث وأدوار دنيوية، وأن شهادة التوحيد لا إله إلا الله التي هي مفتاح الجنة لن تفتح الجنة إلا لم آمن بأصولها الأربعة: العقل الأول والنفس الكلية والني والإمام.

3.2. الزمن الدوري كمسار للتاريخ المقدس:

يطلق اسم التاريخ المقدس على التمثلات المنظمة في فكرة أدوار الولاية والنبوة، فالوقائع المدركة هنا، لها حقيقة الحوادث بالطبع ولكنها ليست حوادث تتمتع بعينية العالم والأشخاص الطبيعيين الذين يملؤون كتب التاريخ عادة، ولكنها وقائع روحية تكتمل في ما وراء التاريخ وتشكل فيه العنصر الخفي من الحدث، والحدث غير المرئي الذي لا يقع تحت الإدراك التجريبي الدنيوي، إذا فإن أول ما يقصد إليه التاريخ القدساني، هو معنى النزول ليستطيع وصف (الصعود) وختام الدور.³²

يُفهم الزمن الدوري في الفكر الإسماعيلي مباشرة بعد الخلق الأول، المتمثل في الأصلين السابق والتالي، وهما أول لفظين من شهادة التوحيد، (لا إله)، وهما العقل الأول والنفس الكلية، وهذا المفهوم الباطن يمثل أساسا في تفسير الإمامة والمعاد. يبدأ الزمن الدوري بالفاجعة السماوية، التي ستشكل فيما بعد بداية الزمن الدوري بانبعث العقل الثالث، وهو آدم الروحاني أو آدم الملكوتي "ملاك آدم الروحاني" "L'ange Adam spirituel". بدأت الفاجعة السماوية عندما رفض آدم الروحاني، الحد الذي سبقه، أي العقل الثاني الذي يمنع وصوله إلى المبدع الأول مباشرة والألوهية المطلقة، لإدراك المبدأ الأول دون وسيط، محولا عدم الوقوع في الوثنية والشرك، لكن هذه المحاولة أوقعت في عصيان وثنية أسوأ، فأخذ هذا الشك والحيرة تحط من مرتبة آدم الروحاني، فبعد أن كان في المرتبة الثالثة تفهقر إلى الرتبة الرابعة، ومع

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

استمرار الحيرة، ظل يتقهقر حتى وصل المرتبة العاشرة، وبهذا تشكلت الأفلاك السيارة بحسب المراتب السبعة بين الثالث والعاشر، والمسافة بين كل مرتبة من المراتب تمثل مقياس لزم من حيرة آدم، وعليه فإن الزمن يعبر عن تحلف آدم عن نفسه فيصبح الزمن هو الأبد المتخلف.³³ يتبين لنا أن الزمن في التأويل الإسماعيلي بدأ مع العقل الثالث، أي آدم الروحاني في عالم الملكوت، نتيجة عصيانه، إذ لم يقبل الاعتراف بفضل المنبعث الأول (العقل الثاني) عليه وتوهم أنه مساوي له، لكنه أدرك خطأه بعد سبعة أدوار، نتج عن كل دور كوكب من الكواكب السيارة، وبعد أن ندم على خطيئته، تاب الله عليه، وأمدّه الباري من فيض المادة الأزلية، يقول الداعي الإسماعيلي علي بن الوليد: «فكان ثانيا في الانبعث ثالثا في العدد عاشرا في الرتبة، وحصل على التوبة وبشفاعة تلك العقول، وهي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه لأنه آدم الروحاني الذي قال الله فيه ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾»³⁴ ³⁵

يعرض حميد الدين الكرمانى في الجدول الآتي: (شكل 1) مراتب العقول العشرة وما يقابلها من أفلاك وما تمثله في مراتب الأمة الإسماعيلية.

الحدود السفلية (الحدود أو درجات العالم الأرضي)		الحدود العلوية (الحجب أو درجات عالم السماوات)	
رتبة التنزيل	الناطق	الفلك الأعلى	الموجود الأول: العقل الأول
رتبة التأويل	الأساس	الفلك الثاني	// الثاني: العقل الثاني
رتبة الأمر	الإمام	فلك زحل	// الثالث: العقل الثالث
رتبة فصل الخطاب (الملك)	الباب	فلك المشتري	// الرابع: العقل الرابع
رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا	الحجة	فلك المريخ	// الخامس: العقل الخامس
رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد	داعي البلاغ	فلك الشمس	// السادس: العقل السادس
رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية	الداعي المطلق	فلك الزهرة	// السابع: العقل السابع
رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة	الداعي المحدود	فلك عطارد	// الثامن: العقل الثامن
رتبة أخذ العهد والميثاق	المأذون المطلق	فلك القمر	// التاسع: العقل التاسع
رتبة جذب الأنفس المستجيبة	المأذون المحصور	كوكب الأرض	// العاشر: العقل العاشر

--	--	--	--

جدول يبين مراتب العقول العشرة وما يقابلها من أفلاك ومراتب الأمة الإسماعيلية.³⁶

يتضمن الجدول شرحا مفصلا لتعاقب الأدوار وارتباط الأئمة بالعقول الإلهية العشرة، ويمثل هذا التصور تسلسل الأنبياء والأئمة وارتباطهم بالحدود السماوية باعتبارهم صورا إلهية أرضية ويمهد أيضا لما يطرحه الداعية الإسماعيلي الفيلسوف أبو يعقوب السجستاني في كتابه الينابيع.

وضع حميد الدين كرماني تقابلا بين الحدود السماوية والحدود الأرضية وهي متماثلة مع بعضها إذ أن ثمة ناطق على الأرض وهو النبي الذي ينطق بالشرعية والقانون الإلهي، مقابل للعقل الأول، الذي يتدعى الدعوة في السماء. وهناك الوصي، وهناك الإمام مستودع الوحي، والوارث الروحاني للنبي وهو أساس الإمامة، وإمام الحقة الأولى وهو مقابل العقل الثاني، والإمام الذي يخلف الأساس يكون مقابلا للعقل الثالث، آدم الملائكي، وتتوالى مراتب الإمامة في حقب سباعية مقابل لما حدث في عالم الملكوت الأول.³⁷

يتضح من التصور الإسماعيلي أن تكوّن الكواكب السيارة السبعة، كان نتيجة تقهقر آدم إلى المرتبة العاشرة، ثم يأتي دور الكشف والتجلي الأرضي، وهو ما تعرضه المصادر الإسماعيلية باسم ابتداء البشرية، حيث يفسرون ظهور آدم الأرضي أو البشري بطريقة أسطورية، فظهور آدم في هذا العالم، كان في شكل نبتة نمت على الأرض، وهذا ما تؤكد المصادر الإسماعيلية بأكثر تفصيل، فيما يذكره الداعي اليميني مُجدد بن الوليد عن ظهور آدم الأرضي، الذي كانت ولادته الأرضية حين انحال مطرا كثيرا نظير مني الرجل، فغمرت الأمطار كل مكان في الأرض، ووقعت في الكهوف والمغارات، وهي شبيهة بأرحام النساء، ومن ثمة تكون الإنسان مثل الجنين.³⁸

منذ ذلك الحين أصبح آدم الأرضي مظهرا لآدم الملكوتي وحجابه معا، وهو معصوم من كل دنس وكل خطيئة، وهذا ينطبق على الأئمة والأولياء في مختلف الأدوار، وقد كان آدم الأرضي مؤسس حدود الدين عبر الأدوار اللاحقة حتى عهد الإسلام وما بعده،³⁹ كما أن

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

تأويل المعنى البعيد والمجازي في القرآن لشخصية الإمام المقدسة (ظاهرا أو مستترا) هو أمر هام جدا كدليل على هذا المعنى، وكمفتاح لدخول عتبة التسلسل السري ودورات تتابع الأنبياء والأئمة المنسقة لتاريخ العالم السري. هذه المراتب بدورها محددة برؤيا شاملة للكون تقوم عليها الصلة بين الصور والأصول، أي الحوادث على الأرض والحوادث في السماء، وبين الهيئات السماوية ضمن فئت الملائكة والهيئات الأرضية التي تألف السلسلة السرية، وبين المثل والممثل، بين الوجود بالقوة والوجود بالفعل.⁴⁰

قدم حميد الدين الكرمانى تأويلا لتلك الصلة بين العقول التي هي بمثابة مبادئ ويسميتها النهايات الأولى في دار الإبداع تكون صورها صورة الإنسان الذي هو النهاية الثانية في عالم النفس، (العالم الأرضي) وهذا يؤكد أن الله خلق آدم أبا البشر على مثال صورة نفسه، فهذه العقول في دار الإبداع قواها وقوى الإبداع الذي هو المبدع الأول – أعني أنوارها – نافذة في دار الطبيعة سارية فيها إلى الأنفس التي هي النهاية، وبها يتعلق وجود الموجودات، بحيث تعطي الأنفس في بدء وجودها ما به تعرف الخير والشر، وبه تميل إلى الجميل وتؤثره وترهب القبيح وتكرهه.⁴¹

الشكل 2: تمثيل هندسي يوضح محيط النهايات الأولى في عالم الإبداع والنهايات الثانية التي مركزها الإنسان.⁴²



43. النهايات الأولى في عالم الإبداع والنهايات الثانية التي مركزها الإنسان.

يتضح من التمثيل الهندسي الذي وضعه الكرماني أن المبدع الأول يمثل نهاية أولى ليس فوقه ما يكون شيء، وأن الإنسان نهاية ثانية ليس وراءه موجود آخر، كما أنه متأخر عما تقدم عليه، وموقع في مركز الدوائر، معلول لما سبقه.

ما يلاحظ من التفسير الإسماعيلي لمسألة الإمامة وارتباطها بالتاريخ القدساني من جهة ومفهوم المعاد من جهة أخرى، أن هذه الأفكار مشتركة بين الإسماعيلية الفاطمية وإسماعيلية ألموت، غير أن الاختلاف يحمله التطور الجديد الذي حدث في ألموت، متمثلاً في إعلان القيامة من قبل حسن الصباح، الذي انطلق من المبادئ الفاطمية، ليعلن مرحلة جديدة تضاف إلى التصور السابق لمفهوم الإمامة والقيامة.

فسر الإسماعيليون القيامة أو المعاد وفق رؤية لا تنفصل عن رؤيتهم للتاريخ المقدس، المتحقق في الزمن الدوري ولا ينفصل المعاد عن هذا الزمن المقدس، فالمعاد تمثله عودة آدم إلى مرتبته الأصلية، بعد أن تلقى كلمات، وهي الكلمات السبعة التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وعودته بعودة الأنفس في هيكل نوراني، وهذا ما عبر عنه علي بن الوليد في كتابه "المبدأ والمعاد" في الفصل الثاني حول مفهوم المعاد، وفيه يعتقد أن النفوس تتصاعد كل حسب عملها

حتى تشكل في النهاية هيكلًا نورانيا، هو الإنسان النوراني المنبعث، ومراتبهم (النفوس) بحسب أعمالهم، فمنهم الرأس ومنهم القلب ومنهم الظفر ومنهم الشعر ومنهم ما هو أسفل القدم، يقول: «فلا تزال ترد إليه (أي النفوس) وتبني عنده إلى أن يكتمل ذلك هيكلًا نورانيا قدسانيا، ولذلك سمي الباب لأن ذلك الهيكل الذي عنده الباب مجموعة يعني عقولا لأن العقل هو اللب. فأعلم ذلك، وهذا الهيكل هو المسمى الإمامة.»⁴⁴ يتبين لنا وفق هذا التأويل أن الإسماعيلية لا يؤمنون ببعث الأرواح منفردة وإنما تكون في نفس كلية تجمعهم كما كانت بدايتهم في عالم الدر.

نتج عن هذا المفهوم أن معرفة الإمام أو الإنسان الكامل، هي المعرفة الوحيدة لله الممكنة للإنسان باعتبار أن الإمام هو المظهر الإلهي الابتدائي، ووفق هذا المفهوم، جاء إعلان القيامة من قبل حسن الصباح شيخ ألموت، وتؤكد خطبة القيامة المظهر الإلهي للإمام، وهو ما يبرز هذا جليا في هذه الفقرة التي نورد منها ما يلي: «مولانا هو قائم القيامة ومولى الكائنات وهو الوجود المطلق، المنزه عن كل التعريفات والتحديدات الوجودية كلها، لأنه يتعالى عليها كلها، يفتح باب رحمته ويجعل بنور معرفته من كل كائن ناظرا أو سامعا، ومتكلما إلى الأبد، يمر الأنبياء ويتغيرون، أما نحن فباقون لأن النور الذي يشع عن المصباح ليس المصباح نفسه، ولكن إذا لم تجد النور، فكيف تعلم ما هو المصباح، أو كيف تعرف إذا كان المصباح موجودا أصلا وأين هو؟ وأن أولياء الله ليسوا نفسه ولكنهم لا ينفصلون عنه.»⁴⁵ إن هذا النوع من الرؤية الإسماعيلية للوجود والمعرفة تؤدي حتما ضرورة أن يعيش كل إسماعيلي مخلص تجربة صوفية عميقة، تشترك فيها معرفة الله ومعرفة الإمام ومعرفة النفس.

4. خاتمة:

بعيدا عن جدلية الرفض والقبول للمعتقدات الباطنية، يمكننا الخروج بتصوير مختلف لمفهوم التاريخ، ومنه سنحاول إبراز أساس هذا التصور من خلال النتائج التي خلصنا إليها في ختام هذه الورقة، وفق المفهوم الإسماعيلي للتاريخ القدسي للبشرية، الذي يكشف المعنى الروحي لجميع الآيات والقوانين النبوية في نهاية عهد النبي مُحمد (صلى الله عليه وسلم) وبداية الدورة السابعة،

دورة القيامة، ومن هنا تبرز الحقيقة التاريخية المزدوجة من أجل الخلاص. حقيقة منقسمة بين الفرد وبيئته الميتافيزيقية، لذا كان على الإنسان أن يعيش على جميع المستويات التأويلية، وبشكل جماعي بكل وعي، بُعد التاريخي المقدس.

إذا كانت الأحداث الأرضية، التي هي انعكاس، وإعادة تمثيل للأحداث التي حدثت في الملامن الملائكي، فإن "التاريخ المقدس" يقدم لقراءه شيئاً غير مرئي، أي أنه تم استرداد أنظمة الرموز الخاصة بالصوفيين، وعرضها على أنها النظرة المثلى داخل الحدث الروحاني، هذا الشيء الإلهي، هو عالم له تاريخه الخاص، ولكن ليس العالم الاجتماعي الذي نعرفه، إنه عالم مواز دائماً لجميع المجتمعات، يظل دائماً بجوارنا. إن ما يعطي للأحداث التاريخية الظاهرة حقيقتها مشاركتها للتاريخ المقدس، وفهمنا لطبيعة المشاركة ومجالها، واتضح لنا أن فهم طبيعة هذه المشاركة يكون فهماً عرفانياً روحانياً، فالإنسان العادي يرى تلك الرموز في نصوص مقدسة، يفسرها في ظاهرها على ضوء أحداث منظورة بالحواس، كما يراها في الطبيعة، فيفسرها وفق قوانين فيزيائية، لكن فهمها الباطني لا يتاح إلا للأولياء بعد تأويلها تأويلاً عرفانياً، أما مجالها هو النهائيين النهاية الأولى في عالم الإبداع والنهاية الثانية في عالم الإنسان، الذي حُجبت عنه النهاية الأولى وكان آدم الأرضي حجاباً لها، في دور (الستر)، حيث يتم حجب الحقائق الروحية والمعرفة الباطنية برموز ظاهرية (ظاهر) وقانون ديني (شريعة).

على الرغم من أن التاريخ المقدس، لن يكون بديلاً عن التاريخ الظاهر، إلا أن قوانين هذا الأخير هي الوسيلة ذاتها لمغادرة هذا العالم، تدريجياً، للوصول إلى العالم الآخر وبذلك تحقق الحياة النهائية في التاريخ المقدس، وإن لم تكن نؤمن به ونراه في هذا العالم.

5. المراجع:

- ¹ عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، رياض الرايس لندن - قبرص، ط1، 1991 ص 114.
- ² نفسه ص 117.
- ³ نفسه، ص 146-147.

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

- ⁴ ألموت هي قلعة في شكل صخرة جبلية محصنة تقع على مسافة 100 كلم غرب طهران و 40 كلم شمال شرق مدينة قزوین.
- ⁵ أسمه الكامل الحسن بن علي بن مُجَّد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميري، ويقال أن والده كان قد هاجر من اليمن إلى بلاد أصفهان ، وأنه قبل اعتناقه المذهب الإسماعيلي كان شيعيا اثنا عشريا، وإثر خلافه بينه وبين الوزير السلجوقي نظام الملك فر الحسن إلى القاهرة، وأقام ثمانية عشر شهرا، ولما قتل الداعية الإسماعيلي في بلاد فارس، عبد الملك بن عطاش أمر الخليفة الفاطمي الإمام المستنصر، الحسن بخلافة ابن عطاش في تلك المنطقة، وبعد وفاة الخليفة، أعلن الحسن الولاء لنزار وأعلن قيام الدولة النزارية، وأنطلق في العمل المسلح لإرساء قواعد هذه الدولة الجديدة التي كانت عاصمتها قلعة ألموت Almut .
- ⁶ هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية (منذ النبايع حتى وفاة ابن رشد)، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، (د . ط)، 2004، ص ص 169-170.
- ⁷ الحشاشون تسمية أطلقها عليهم الصليبيون آنذاك وهي اسم مشتق الحشيش لأنهم بحسب إعتقادهم كاوا يتعاطون الحشيش للقيام بعمليات الإغتيال، فسموهم بالأساسين Assassins او هساسين Hassassin ومنها اشتقاق الكلمة الفرنسية حشاشين Assassins كما وردت تسميتهم عند بعض المؤرخين المعاصرين من العرب لهم مثل أبو شامة (599- 665 هـ) في كتابه الروضتين في أخبار الدولتين، خلال القرن السابع الهجري، كان يطلق على النزارية اسم حشيشية.
- ⁸ أنظر سميرة بن عمو ، أل- موت وايدولوجيا الإرهاب الفدائي ، ط2، 1996، ص ص 104-105.
- ⁹ هنري كوربان ، في الإسلام الإيراني: جوانب روحية وفلسفية، ج1 الشيعة الإثنا عشرية، ترجمة ذوقان فرقوط، مكتبة كدبولي ، ط1، 1973، ص 91.
- ¹⁰ مُجَّد كامل حسين، طائفة الاسماعيلية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1959، ص 108.
- ¹¹ المرجع نفسه، ص ص 110-113.
- ¹² مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الإسلام، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د . ط)، (د . ت)، ص 98.
- ¹³ عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، ج1، ص 30.
- ¹⁴ هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 150.
- ¹⁵ سورة الذاريات، الآية 49.

- ¹⁶ القاضي النعمان، أساس التأويل، تحقيق عارف تامر، منشورات دار الثقافة، بيروت، (د . ط)، (د . ت)، ص 28.
- ¹⁷ نفسه، ص 31.
- ¹⁸ يد الله يزدان بناه، العرفان النظري: مبادئه وأصوله، ترجمة علي عباس الموسوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، (د . ط)، 2014، ص 83.
- ¹⁹ جميل صليبا المعجم الفلسفي، ج 2، جميل صليبا المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د . ط)، 1982. ص 72.
- ²⁰ Wouter J. Hanegraaff, Dictionary of Gnosis & Western Esotericism, Brill Leiden, Boston, 2006, p p 403 - 404.
- ²¹ شهاب الدين السهروردي، حكمة الإشراق، تحقيق، إنعام حيدورة، دار المعارف الحكيمة، بيروت، ط1، 2010، ص 97.
- ²² محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1959، ص 175 - 176 .
- ²³ إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية، ج1، سميركو للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، (د . ت)، ص 22.
- ²⁴ فريد الزاهي، من هايدغر إلى السهروردي، (ترجمة نص حوار فليب نيمو مع هنري كوربان)، مجلة نزوى، عدد 53، 2008، ص ص 99-112.
- ²⁵ نفسه، ص ص 99-112.
- ²⁶ Darius Shayegan, Henry Corbin: la topographie spirituelle de l'islam iranien, Editions de la Différence, France, 1990, p 86.
- ²⁷ أبو يعقوب السجستاني، تحفة المستجيبين، تحقيق عارف تامر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د . ط)، 1983، ص ص 11 . 14.
- ²⁸ علي بن محمد بن الوليد، المبدأ والمعاد، تحقيق خالد مير محمود، منشورات دار علاء الدين، دمشق، (د . ط)، 2007، ص 29.

التاريخ المقدس في العرفان الإسماعيلي

- ²⁹ القصيدة الشافية، (مؤلف إسماعيلي مجهول)، تحقيق عارف تامر، دار المشرق، بيروت، (د . ط)، (د . د) .
ت)، ص ص 01-02 .
- ³⁰ نفسه، ينظر هامش المحقق، ص 02 .
- ³¹ أبو يعقوب السجستاني، الينابيع، تحقيق مصطفى غالب، المطبعة التجارية للطباعة والنشر، ط 1، 1965، ص ص 142-143 .
- ³² هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 127-128 .
- ²⁹ Henry Corbin, Temps cyclique et gnose ismaélienne, Berg international, Paris, 1982, p 102 .
- ³⁴ سورة البقرة، الآية 37 .
- ³⁵ علي بن مُجَّد بن الوليد، المبدأ والمعاد، ص ص 31-32 .
- ³⁶ حميد الدين الكرمانى، راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1983، ص 256 .
- ³⁷ Henry Corbin, temps cyclique et gnose ismaélienne, p 102-103 .
- ³⁸ علي بن مُجَّد بن الوليد، المبدأ والمعاد، ص 37 .
- ³⁹ هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 170 .
- ⁴⁰ هنري كوربان، الإسماعيلية ورمز الصليب، ترجمة خضر الحموي، دار الغدير، سلمية سوريا، ط 1، 1999، ص 147 .
- ⁴¹ حميد الدين الكرمانى، راحة العقل، ص 265 .
- ⁴² نفسه، ص 179 .
- ⁴³ نفسه، ص 179 .
- ⁴⁴ علي بن مُجَّد بن الوليد، المبدأ والمعاد، ص 65-67 .
- ⁴⁵ مُجَّد عبد الحميد الحمد، الأفلاطونية المحدثة والتوحيد الإسماعيلي، منشورات الحمد، سورية، ط 1، 2003، ص 197 .